لقد أردنا أن نصل بالفكرة إلى نهايتها لا لنخرج عن موضوعنا إلى ما كان عند أصحاب مذهب البديع ، ولكن لنرى ما كان يطلبه مؤرخو النقد من الشعر العربى وقد سار مع الزمن تلك الأشواط البعيدة حتى القرن الثالث والرابع ووقع تحت تأثيرات كبرى بعد ذلك الحدث الخطير الذي بلغت فيه الجاهلية نهايتها أو لم تبلغها قط عند البعض . ومن هنا نستطيع عوداً على بدء أن نلقى الضوء على ما يهمنا من بدايتها ، تلك البداية التى بدا فيها التأثير الإسلامى فى الشعر ضئيلا فى ميزان النقد الأدبى عند الكثيرين . فاذا كان أبو تمام فى القرن الثالث لم يخرج في شعره على ما عهده الجاهليون والأمويون فى شىء يذكر ، فهل ينتظر أن يكون الشعر فى العصر الاسلامي الأول قد خرج عند هؤلاء النقاد على الشعر الجاهلى بتأثير الاسلام وذلك فى صورة من صور التطور تستحق الذكر ؟ ومن هذا يتضح وجه المغالاة فى الحكم .

فالدكتور مندور يرى أن التجديد ممكن على أساس القديم ، ولكن الشعر العربى عنده لم يفعل ذلك حتى عصر أبى تمام . ومن صور هذا اللون من التجديد فى الآداب الغربية يستشهد الكاتب الناقد بتاريخ الأدب الفرنسى فى القرن السابع عشر حيث تناول الشاعر « راسين » على سبيل المثال إحدى الأساطير اليونانية القديمة وجعلها موضوعاً لاحدى مسرحياته ، ولكن أحداً من الشعراء العرب لم يفعل شيئاً من هذا ، لأن الأدب العربى ليس أدب الكليات وإنما هو أدب الجزئيات ، ولو أن الشعراء أرادوا لوجدوا مادة كبيرة مثل أيام العرب القدماء وخرافاتهم التى لم يستغل شىء منها حتى اليوم ، وعدم استغلالها حتى اليوم له دلالته سواء فيما يخص تأثير الاسلام فى الشعر أو تأثير غيره من المؤثرات على مدى العصور حتى اليوم .

لكن النظر إلى الشعر العربى من خلال المنظار الذى ننظر به إلى الأدب الفرنسى أو غيره من الآداب فى القرن السابع عشر أو غيره من القرون فيه كما قلنا تعسف شديد وتكليف لفرسان الشعر العربى أن يستخدموا من أدوات